

باب تدبير المنزل

قد نفعنا هذا الباب لكي تدرج فيوكل ما بهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدهور الطعام واللباس
والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك ما يعود بالنفع على كل عائلة

الازهار^(١)

لجناب السيدة ياقوت صرف

سيداتي الكريبات

انكنت اخترتني خطيبة لهنك الجلسة في فصل تكلمت فيه عرائس الطبيعة باكاليل الازهار
ورقصت لها قدود الرياحين وغنت سواجع الاطيار وواج عرفها فاحي النفوس وتضوع
منها طيب لا يذكر معه طيب العروس فكيفنا انجى الانسان لا يرى الا روضاً ارضياً
وغصناً غضيفاً وعنداً منظوماً ووشياً مرفوماً ولا يسمع الا اطياراً مغرّدة وسواجع مرودة
ولا يشم الا مسكاً منتفاً وطيباً معيلاً

والارض قد ليست رداء اخضرا والطلُّ ينثر في رباها جَوْهراً
هاجت فخلت الزهرَ كاقوراً بها وحيث فيها التراب مسكاً اذفرا

والطلُّ في سلكِ الغصونِ كلؤلؤه رطبٍ بصالحه النسيمُ فيسقطُ
والطيرُ نقرأُ والغديرُ صحيفةٌ والريحُ تكتبُ والغمامُ ينقطُ

فاجتذبتني محاسن الرياض الى اتخاذ الازهار موضوعاً لكلامي واخليت عنلي بدائع الربيع
فوقنت على وصفها خطابي . فاسعني بملككن واسبلن على قصوري ذيل المعذرة
الانسان كما لا يخفى عليك سيد الخلوقات وقد سخرها الله لخدمته وراحته وفرحه وسعادته
وترقيه عنلو في مراتب الكمال وتربية ذوقه على حب الجمال واطلاق لسانه بجمد ذي المجد والجمال
وكلمها جميلة في بنائها وتركيبها منيفة في تحكيها للغايات المقصودة منها . ولكنها تفاوتت حسناً وبهاه
كما تفاوتت كواكب السماء مجدداً وضياءه . وعندني ان الازهار ابدعها منظراً وقد لعم الشعراء

يوصف محاسنها قبل ان عرف الناس شيئاً من منافعها دلالة على ان الحسن صورة في الدهن
مجردة عن النفع والضرر. ولطالما عجبْتُ كيف ان رجلاً مثل عنترة بن شداد الذي اعناد الحرب
والطراد وسلب الاموال والتك بالرجال وربي في رعاية الانعام وسكن الخيام يستطيع ان
يصف الازهار وصفاً لطيفاً ويمد من انواعها صنوقاً. والظاهر ان العرب من بدو وحضر
اعتنوا بالرياض أكثر مما يعتنون بها اليوم وربوا من الازهار انواعاً كثيرة فقد ذكر الصفي
الحلي في زهرياته عشرة انواع من الازهار المختلفة وهي الورد والياسمين والزرجمس والآذريون
والبهار والمشور والشقيق والسوسن والزنبق والافحوان. وذكر ابن حبيب الحلي ثمانية عشر نوعاً
وهي الورد الاحمر والايض (النرسون) والايض المشوب بالحمرة الذي يقول في
كأن وجهه لما تواقفت بدوراً في مطالعها سعود
ياض في جوانب احراز كما احترت من الخجل الخدود

والزرجمس والياسمين والبنفسج وشبه زهر البنفسج يلبس الكبريت اذ قال

كأنه وضاعف النفس تحمله اوائل النار في اطراف كبريت

ولون البنفسج كلون لمب الكبريت ولكن الدهن يسبق عند ذكر الكبريت المشتعل الى
رائحة الخيفة الحاققة وهي بعيدة عن رائحة البنفسج بعد الثريا عن الثرى. ولا اعلم ما اذا يقول علماء
البيان في هذا التشبيه. وذكر ايضاً الزعفران والبيوفر والحراي والافحوان والآذريون والشقيق
والبهار والمشور الايض والاحمر والاصفر والسوسن الازرق والايض

وكان شعراء العرب كانوا يعتمدون ذكر الازهار ذات العرف الطيب ولم يذكروا زهراً
خيبت الرائحة الآ الشقيق الذي يريدون به الخشخاش البري. او كان العرب لم يكونوا يزرعون
الآ الازهار العطرية (بخلاف الافرنج ومن جاراهم من المحدثين الذين يزرعون في جناتهم ازهاراً
كثيرة لا رائحة طيبة لها كالداليا الجميلة المنظر الخفيفة الرائحة) الآ انهم كانوا يستحسنون الازهار
الجميلة البرية طابت رائحتها او خبثت ولذلك كثر وصف شعرائهم للشقيق والتشبيه به

واشكال الازهار كثيرة بين شمسية وكامية وفراشية وبين بسيطة ومركبة ومفترقة ومجمعة الى
غير ذلك مما لا يتع تحت المحصر. والوانها تنوع العد ففيها الالوان السبعة الاصلية وكل
تنوعاتها المحاصلة من امتزاج بعضها ببعض. ومهما اجتهد المصورون لا يستطيعون ان ياتوا بمثالها
تماماً. وروائحها لا يعبر عنها باللسان ولا بالقلم وليس لها اسماء عامة في اللغة فلا يعبر عن رائحة
الورد الآ برائحة الورد ولا عن رائحة البنفسج الآ برائحة البنفسج. ولم تحدث هاتيك الاشكال ولا تلك
الالوان ولا هذه الروائح بالصدفة والاتفاق بلا قصد ولغير غاية بل لكل منها غايات ومقاصد

عَرَفَ العلماء بعضها ولم يزالوا يبحثون عن البعض الآخر

ومها تنوعت اشكال الازهار نفق في امور جوهرية وهي احوائها على الاعضاء التي يتم بها تكثير نوع النبات لان الاثمار والبزور لا تتولد في النبات كما تتولد الاوراق بل لا بد لها من هذه الاعضاء . والتدقيق في ذلك من متعلقات علم الفسيولوجيا النباتية فلا تعرض له . ولا يعد ان يكون لكل شكل من اشكال الازهار ولكل لون من الوانها ولكل رائحة من روائحها فائدة خصوصية حتى الازهار الخفيفة الرائحة التي رائحتها مثل رائحة اللحم المتفنن لرائحتها هذه فائدة خصوصية وتنصيل ذلك ما لا يناسبه المقام . ويجب ان يكون الامر كذلك لان الله لم يخلق شيئاً عبثاً ولو وجد في النبات شيء لا فائدة منه لضعف وزال على توالي السنين . ولكن ما اقل الناس الذين ينظرون الى زهرة اللولبية المنظر مثلاً ويملكون ان لكل جزء من اجزائها ولكن لون من الوانها منعمة خصوصية لنبات اللولبية . ومالي وللخوض في هذه المواضع الوارصة فانتركها والتفت الى ما هو اقرب منها تناولاً واسهل ادراكاً واخصر الكلام في فوائد الازهار فمن هذه الفوائد تكثير نوع النبات . والظاهر ان النبات قد تكيف على كيفيات شتى تسهلاً لهذه الغاية كأنه حتى عاقل . وعلماء الحياة يذكرون لكل اختلافات الازهار اسباباً طبيعية تأول لتقوية النبات الا التكيس فاني لم ار له فائدة لان الزهر المكبس عقيم . ولكن التكيس من صنعة الناس لا من صنعة الله فلا عجب اذا كان بلا فائدة للنبات

ومنها بجملة البشر وتسليةهم عن همومهم . فكم من من حاربنا جيوش المواجهس ونشرت على وجوهنا براقع الغم فضاقت بنا الدنيا وحسبنا الحياة حلاً ثقيلاً ثم دخلنا روضة كثيرة الازهار والرياحين او جاءنا احد بطاقة منها فانتهجت عيوننا بمنظرها البديع واتعشت نفوسنا بعرفها الطيب وزالت عنا جيوش الهموم ونسينا ما كان بنا من الكآبة وصغر النفس . وقد عرف الناس هذه الحقيقة من قديم الزمان واستعانوا بها على تنفيس كروبهم وتسلية الذهن ثقل الدهر عليهم واراقهم في مصائب شديدة . وعلما الاطباء ايضاً واستخدموها في تطيب المرضى ولا سيما المصابين بالجداء ولذلك تحاط المستشفيات بالجنانين ويجرض المرضى على النزهة فيها وترين غرفهم بها . وخير هدية تهدي للربى المتقلب على فراش المرض طاقة من الازهار الجميلة توضع امامه لينتج نظرة بها او يتعش برائحتها ومنها تربية النوق السليم والمواظف الطاهرة . فقد قيل ان سليمان الحكيم مع كل عبده لم يلبس كواحدة من الازهار . فاذا اعتادت الفتاة رؤيتها جردت منها صوراً جميلة تريح في ذهنها وتمتدب فوقها وتدرجها على ترتيب اثاث بينها ترتيباً يتبع به العين وترتاح له النفس . ولا يخفى عليك الفرق العظيم بين بيت امتعته مرتبة ترتيباً جميلاً بحسب الوانها

ويست آخر امتعة من ائمن الاثمة ولكن الواثما لا يوافق بعضها بعضاً فتعيب العين من رؤيتها وتعاف النفس النظر اليها . وعندى انه يجب على كل والد ان تربي اولادها على محبة الازهار والاعتناء بها لان ذلك يهذب ذوقهم ويربي فيهم محبة الجمال والترتيب مع ما يتبعها من الاخلاق الشريفة الطاهرة

ولا يخصص نوع الازهار بنا نحن نوع الانسان بل يعم طوائف كثيرة من الحشرات ولا سيما النحل التي تجني منها شيئاً لا يغير شكلها ولا لونها ولا رائحتها وتضع منه الشمع والعسل ويوتا لصغارها وطعاماً لها وللانسان . وقد آلت النحل الازهار اشد الالفة فتتصددها من كل مكان وتميز بينها وبين الازهار الصناعية على ما قيل منها اثنان صنعها ومن ذلك القصة المشهورة وهي ان ملكة سبا التي انت لتتحن حكمة سليمان قدمت له طائفتين من الازهار واحدة طبيعية والاخرى صناعية فلم يمكنه ان يميز بينهما مع وفور حكمته فاطرق هنيئة ثم امر الوثوف بين يدبير ان يتخولا كوة بجبانة وكان وراءها قنبر نحل فلما فتحوها دخلت النحل منها وميزت بينها ووقعت على الازهار الطبيعية دون الصناعية . واني ارى في اثناع النحل من الزهر واتناع البشر منها ومنه طرفاً من ذلك الناموس العام الشامل لكل المخلوقات الذي يجبرها على ان لا يعيش الواحد منها لنفسه بل يعيش كل منها للآخر

هذا وقد تكرم الرجال بتشبيه النساء بالازهار فلنحرص لكي يصدق هذا التشبيه علينا في الطهارة والنفع وطيب الصيت وتخفيف اتماب العيال وازالة كروبها وتهذيب الصغار وتحجيم الميعة الاجتماعية ونطرب عرفها

—•••••—

بعض المخللات

الخيار المخلل * اتنى الخيار الاخضر الصغير واغسله جيداً ووضعه في اناء وصب عليه ماء نظيفاً (في كل رطل من الماء نحو اوقية من الملح) واتركه فيه نحو ١٢ ساعة ثم ارفعه من الماء ونشفه واتى بالنخل الحادق واضف اليه خردلاً ولبفلة وزنجبلاً وقليلاً من جوز الطيب واضف ايضاً الى كل اقة من الخل قطعة من الشب الابيض قدر المحصة واغلو على النار وضع الخيار في اناء خزفي وصب الخل عليه وغطوه وضعه في مكان بارد واذا اضفت اليه قليلاً من السكر زادت حنافة الخل وحفظ فيه الخيار زماناً طويلاً

البصل المخلل * قشر البصل الصغير واتنعه في الماء الملح اربعاً وعشرين ساعة ثم نشفه واتنعه في الخل كما تنعت الخيار

القيبط المخلل * قطع القبيط وغمره بالمخ يوماً كاملاً ثم انعمه في الخل كما تقدم ولا تنس
ان تضيف اليه قليلاً من الشب
الدراغن المخلل * اذب اقمه من السكر في اقمه من الخل واضف اليها قليلاً من القرقة وكيش
القرنفل واغها على النار واسلق فيها ثلاث اقامت من الدراغن دفعات متوالية حتى تلين
قليلاً ثم صب السائل فوق الدراغن المسلوق وسد عليه . وعلى هذا الاسلوب يخلل الخوخ
والاجاص (كثرى) وغوما من النواكه . اي ان تخضر تنقع في الماء الملح اولاً ثم في الخل الغالي
الذي اضف اليه خردل وفيلنة وزنجبيل وجوز الطيب والشب الايض . والنواكه تسلق في
المخلل والسكر ثم تنقع في ذلك الخل بعد ان يطيب بالقرقة وكيش القرنفل

بعث اليها رفعتلو رشيد افندي غازي بالبند الثلاث الآتية وهي منقولة عن كتاب عربي
كتب سنة ٦٢٣ للهجرة

(١) ملح مطيب

يؤخذ الملح الحجار الكبار ويجعل في جرّة فخار جديدة ويسد رأسها ثم تترك في تنور حار يوماً
كاملاً وتخرج منه فاذا برد يطحن طحناً ناعماً ثم يؤخذ الكسفرة والسهم والشونيز (الحبة السوداء)
والكردانج والمخخاش والكمون والرازيخ وورق الايسوف بمحص الجبيع ويخلط به وقد يصغ
المخ بعد طوي بان يجعل في ماء فيه زعفران يوماً وليلة ثم يشف من الماء ويعاد طحنه وقد يصغ
كذلك بماء السماق او بالاسريون ومن اراده اخضر بماء السلق

(٢) نفع مخلل

يؤخذ النع الطري الكبير الورق فينظف ورقة من عيدانو ثم يسل ويشف في الظل
وتذر عليه الافاويه الطيبة ومن احب فليضف عليه ورق كرفس واسنان ثوم مقشر ويجعل
في برنية زجاج ويغمر بالخل الجيد ويصغ يسير زعفران ويترك الى ان يشرب الورق حموضة
الخل وتنقطع حدته ويستعمل

(٣) بادنجان مخلل

يؤخذ البادنجان الاوساط فيقطع نصف اقامه وورق ثم يسلق نصف سلقه في ماء وملح
ويرفع ويشف من الماء ثم يشق صليبا ويحشى بورق الكرفس الطري وطاقت يسيرة من نفع
واسنان ثوم مقشر ويعمى بعضه على بعض في برنية زجاج ويذر عليه شي من الافاويه اطراف
الطيب محوقة ناعماً ويغمر بالخل الجيد ويترك الى ان يستحکم نضاجة ويستعمل